الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

الفتنة

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله حمد الشاكرين، والثناء على الله ثناء العارفين، والشكر لله شكر العالمين، اللهم أنت أحق من عبد، وأرأف من ملك، وأوسع من أعطى، وأجود من سئل، لا إله إلا أنت لا شريك لك ولا مثيل لك، كل شيء هالك إلا وجهك، لن تطاع إلا بعلمك ولم تعصى إلا بحلمك، تطاع فتشكر وتعصى فتغفر، أقرب شهيد وأدنى حفيظ، أخذت بالنواصي وكتبت الآجال ونسخت الآثار، القلوب لك مفضية والسر عندك علانية، الحلال ما أحللت والدين ما شرعت والأمر ما قضيت والعباد عبادك والخلق خلقك ولا إله غيرك ولا رب سواك، وأصلي وأسلم على عبد الله المصطفى ورسول الله المجتبى ونبي الله المرتضى وعلى آله وأصحابه.

عباد الله، تحيط بأمتنا فتن مدلهمة، وتواجهها أخطار محدقة، وتتوالى عليها أزمات متلاحقة، من تكالب أعدائها، وسيطرتهم على بلاد المسلمين، واستنزافهم لموارد المسلمين، وانتهاكهم لمقدسات الأمة، ولكن هذه الأزمات وهذه الفتن لا تساوي شيئًا بالنسبة لفتنة الأمة الحقيقية وأزماتها الداخلية، وإن الكثير من الناس يتحدث عن بلاد الكفار وعن الغرب وعن أعدائنا الذين كفانا القرآن مؤنتهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾، ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ

اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، ولكن الأزمة الحقيقية غياب هوية الأمة، وإن الأمة في دوامة من المشاكل الداخلية التي أقعدت الأمة عن رسالتها وعن دورها الذي ينبغي أن تقوم به.

وإن التصور الذي يقول إن سبب تخلف المسلمين وسبب انهيارهم وسبب ضعفهم هم الكفار، هذا الكلام ليس صحيحًا إطلاقًا، فلو أن أمريكا اليوم محيت من الوجود وإسرائيل انتهت لن تنهض الأمة الإسلامية، لأن الخلل في وعيها برسالتها وإدراكها لدورها وفي تحقيق هويتها والانتصار لقيمها والاعتزاز بحضارتها وإدراك أبعاد رسالتها في الأرض ثم الاضطلاع بذلك بحركة ذاتية من الأمة، أما التدخل الأجنبي السافر الذي دخل بلاد المسلمين فما دخل بلادهم إلا لضعف في دواخلهم، بل إن الكثير من الغزاة دخل بلاد المسلمين بتأييد من مسلمين، إن الأمة تعاني أمية دينية كبيرة، أثرت هذه الأمية في تنزيل نصوص الشرع وتنزيل ذلك على أرض الواقع لننهض بأمتنا.

أمة سورة الحديد هي أكثر أمة متخلفة في مجالات صناعة الحديد، هل الخلل في السورة أم في الأمة؟ لقد أوضحت السورة للناس كيف يتعاملون مع مواردهم ومع معطياتهم، وأمة تمتلك من الناحية الفكرية الثروة الضخمة، النظام والقانون والشريعة ورصيد القيم ورصيد الأخلاق، وذلك وافر وموجود بين ظهرانينا في كتاب ربنا ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، وفي سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي أحدث نهضة في الجزيرة العربية، أمة متخلفة تعبد الأحجار والأصنام فصارت أمة واعية، وذلك بعد أن حقق فيها الإيمان وأعطاها التفكير السليم والتصور الصحيح للتعامل مع الحياة ومعطياتها، فليست السيرة وقائع وأحداث وتاريخ ولقاء تم بين جيوش مسلمة وكافرة وانتصرت الجيوش المسلمة، إنما هو النفاذ إلى المعاني والحقائق الذي بسببه انتصرت أمة الإسلام.

العالم الإسلامي، عالم يمتلك الثروات الضخمة من القيم، ورصيد وافر من الإرث والتراث والتاريخ والحضارة، ويمتلك رصيدًا وافرًا من الطاقات المادية، غير أنه لم يحسن استخدام هذه المسألة، فغابت العقول وغاب الضمير وغابت السواعد وغاب المعمل وغاب العلم وغابت المعرفة، فتدهورت الأمة، إن هذه المقدمة مقدمة ضرورية للحديث عن الفتن التي تواجه الأمة، لو أنا تحدثنا عن أعظم فتنة وهي فتنة اجتياح الكفار لبلادنا واستنزافهم لمواردنا وتكالبهم على أراضينا واحتلالهم لمقدساتنا، إن أكبر الفتن التي تواجه الأمة الفتن الداخلية.

إن أردنا أن نتحدث عن مفهوم الفتنة في القرآن والسنة، فقد ورد لفظ الفتنة بمعنى الاختبار والامتحان، ولكن قد تكون الفتنة بمعنى الهلاك والدمار والقتل والشر: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾، وقد تكون بمعنى الآثام وارتكاب المعاصي وفشو المنكرات: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾، وقد تكون الفتنة بمعنى الإغواء والإغراء والإضلال: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾، وقد تكون الفتنة بمعنى الهرج والمرج وعدم استقرار الأحوال وعدم اتضاح الرؤيا.

الفتن كثيرة ونحن كأمة مسلمة نعاني فتنًا، وأولى هذه الفتن الفتنة في الاعتقاد والإيمان، ولذلك قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، الكفر والشرك والضلال هو أعظم أنواع الفتن التي تواجه الأمة، ولا تقل إن أمتنا أمة مؤمنة وإنها أمة موحدة، نحن لا نتهم الناس في عقائدهم ولا نكفر الأعيان من البشر إلا إذا توفرت شروط ذلك، لكن الشرك متفش في بلاد المسلمين، الفتنة في الاعتقاد في بلادنا هي من أكبر أسباب أزماتنا وأكبر أسباب هزائمنا نحن كأمة مسلمة.

الفتنة في الاعتقاد ثم بعد ذلك فتنة فشو المنكرات وفساد الأخلاق وانهيار القيم في مجتمعات المسلمين وتراجع الفضيلة كما هو حاصل في كثير من بلاد المسلمين، العري على سواحل بلاد المسلمين، ونحن في السودان نسير على ذات الخطى، التعري والمنكرات المتفشية الكثيرة موجودة اليوم في بلادنا، فتن كثيرة جدًّا، وإن من الفتن فتنة المال، وليس الفتنة كلها مذمومة، فبعض الفتن كالمنكرات مذمومة في نفسها وأصلها ولكن المال ليس بمذموم: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، حتى الولد يمكن أن يكون فتنة، قد يكون الولد فتنة لوالده بأن يكون سببًا لغوايته وضلاله.

وإن من الفتن العظيمة التي حذر منها الشارع فتنة النساء، ما معنى فتنة؟ أن الإنسان يزعم في الأول أنها لا تؤثر فيه وبعد قليل ينساق وراءها ويجري خلفها، فتنة النساء من الفتن الكبيرة جدًّا، المرأة فتنة فتنة كبيرة: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾، قال يوسف عليه السلام، ويقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: لا يخلون رجل بامرأة وإن كان يعلمها القرآن وهي مريم بنت عمران، لا يجوز، المرأة فتنة.

ومن الفتن فتنة المصائب، تقع المصائب على الناس اختبارًا لهم وامتحانًا، فمنهم من يفتن: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، وإن من الفتن الكبيرة فتنة المحيا وفتنة الممات، وفتنة المحيا جميع أنواع الإغراء والإغواء وجميع صنوف الشهوات التي تبعد الإنسان عن دينه، جميع المقالات جميع المرئيات جميع

المسموعات، الحركة الدائبة لأهل الباطل لإغواء الناس عن حقهم هو فتنة المحيا، أن تحيا بقيمك معتزًّا برسالتك معتدًّا بأخلاقك مستقيمًا على منهجك في ظل الأزمات المتلاطمة والفتن كثيرة أن تثبت، هذه فتنة المحيا، أما فتنة الممات فإن الشيطان يلاحق الإنسان حتى الرمق الأخير من حياته وهو في سكرات الموت يفتنه عن دينه حتى يوقعه في الكفر.

وإن من الفتن أيضًا فتنة المسيح الدجال، وقد تحدثنا عنها في خطبة كاملة، الدجال مشكلته أنه يظهر للناس بالخير والصلاح، ويبطن لهم الكفر والضلالة فيضلهم، وبذلك كان الدجال فتنة، الفتن كثيرة جدًّا في الاعتقاد وفي المال وفي الجاه، وأسوأ الفتن فتنة العلم، أن يأخذ العالم بصور العلم وشكله دون أن يقف على معانيه وعلى حقائقه وإلا صار مفتونًا بعلمه، لكن إذا كانت هذه هي أنواع الفتن ومعانيها كيف السبيل للخروج من الفتن؟

نحن نعايش فتنًا كثيرة وخاصة في السودان، وأسوأ أنواع الفتن في السودان اليوم بعد الفتنة في الاعتقاد وفساد الاعتقاد والابتلاء في العبادات، إخواننا الناس يبتدعوا في العبادات عبادات ما أنزل الله بها من سلطان، أسوأ فتنة بعد ذلك القبلية التي أخذت رواجًا كبيرًا في واقعنا وفي بلادنا، القبيلة من المحاضن الإسلامية المهمة ليتربى الإنسان على صلة الرحم وعلى مكارم الأخلاق والمروءة، لكن القبلية صارت عندنا سببًا من أسباب التمزق وتفتيت وتشتيت وتمزيق كلمة المسلمين.

المخرج، أول شيء لا يتجنب المسلم الفتنة حتى يعرفها أنها فتنة، بعض الناس يخوض في الشيء يظن أنه ليس من الفتن، أن هذا من الشجاعة، أن هذا تحت مسميات كثيرة ولا يدري أنه مفتون، ومن هنا كانت الفتنة فتنة، ثانيًا الاعتصام بالله وصدق اللجوء إليه عند حلول الفتن، قال موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾، ألم يستعذ النبي عليه الصلاة والسلام في كل صلاة من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، عليك أن تستعيذ بالله.

ثالثًا لا بد من العلم بالشرع والفقه في الدين والرسوخ في مقام الإسلام، بل في القرآن دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ولقد كنت أستغرب، أريد تفسيرًا يشبع ما في نفسي، كيف نكون فتنة للذين كفروا؟ التفسير الظاهر بأن نغلظ عليهم ونظهر لهم بعض المظاهر التي تصدهم عن ديننا، لكن الصواب في التفسير وهذا من بعض معانيه أن نكون فتنة للذين كفروا بأن نضعف وأن نخنع فينتصر علينا الكفار، ويقولون لو كان

دينهم أفضل لانتصروا علينا ولهزمونا، وما هزمناهم إلا لأنا أفضل، وبالتالي هذا يكون دافعًا للكفار لمزيد من الاحتلال ولمزيد من العدوان علينا، نحن الذين فتناهم بضعفنا، قال ابن القيم رحمه الله: إذا أقبلت الفتنة لم يرها إلا عالم، أما إذا أدبرت عرفها كل الناس بآثارها وثمراتها.

السودان مقبل على فتنة خطيرة، فتنة التقسيم، فتنة الأحزاب، فتنة الفوضى التي ظهرت قبل يومين في مقتل صحفي، قتلة بشعة، نحن نعيش في أدواء من الفتن، وبالتالي لا ينظر إلى الفتن على المدى البعيد بعمق نظر وبصيرة ثاقبة إلا مؤمن، وإن للمسلم موازين عادلة ونظرات ثاقبة ينظرون بها إلى الأحداث والوقائع فلا يقفون مع الوقائع مجرد وقوف سطحي دون أن ينفذوا إلى أساسها، إن العلم من أكبر العواصم من الفتنة، وأعظم العلم عند الفتن أن يعتصم المسلم بالسنة، هذا هو الذي ينجي من كثير من الفتن.

رابعًا التأني والرفق وعدم التعجل عند الفتن، ويسقط هذا الكلام على الأمس أو قبل أمس قتل صحفي وبدأت الاتهامات والتعجل، ولذلك ليس للناس أن يتعجلوا، طالما أن الأمر تحت القيد وتحت البحث وأن هنالك سلطات مختصة، ونحن نطالبها الإسراع لإيصال النتائج للناس حتى لا يتهم الناس زورًا وبهتانًا، مع إنكارنا لهذا المسلك الرديء السيء الذي لا يمت لدين ولا علم بصلة، مهما كان المقتول ومهما كان القاتل، هذا مسلك مرفوض شرعًا، وليس في الشرع أن يأخذ الناس حقوقهم بأيديهم، وليس للشرع أن يتساهل الناس في أمر الدماء.

وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا قول علماء أهل السنة والجماعة، أجمعوا على ذلك، ونقل الإجماع ابن عبد البر والغزالي وابن تيمية والبغدادي في أصول الدين، نقلوا الإجماع على أن لأحد الرعية أن تغير المنكر بيدها ما لم يصل إلى إراقة دماء، فإن هذا ليس لأحد الناس إنما هو للسلطان، لكن أن تقطع حياته أنت تتعدى حتى على الدين، لعلك لو تركته تاب مما تظنه قد أتى به، أنت لا تعرف بماذا سيختم له، فلماذا تتسرع لإراقة دماء وإزهاق أنفس؟ إن الشرع يحتاط في أمر الدماء، إن الأمور المختصة بالدماء والقتل وإقامة الحدود والقصاص لو ترك لعامة الناس وكانت هذه الفوضى، وهذا مسلك مرفوض لدينا، هذا مسلك مرفوض جدًّا.

نختلف مع من نختلف إلى أقصى مما هو متاح لنا شرعًا من الرد باللسان والرد بالقلم والاختلاف والمناظرة والمجادلة، ولكن لا يحل لأحد من الناس أن يأخذ الحق بيده، وأن ينصب نفسه وصيًّا على دين الله في الأرض، هذا ليس لأحد الناس، وبالتالي هذا مسلك مرفوض، وهو مسلك مرفوض لأنه يفتح باب شر على

مستقبل مظلم لهذه البلاد التي عرفت بالتسامح، إن الأمن الحقيقي، بالمناسبة ذكرت هذا الكلام من على هذا المنبر عشرات المرات، لا تحرسه الشرطة ولا الدبابات ولا سيارات الشرطة التي تجوب العاصمة، الأمن الحقيقي في وجدان الناس وأخلاقهم، هي التي تحفظ الأمن، أخلاق التسامح وأخلاق التسامي وأخلاق الكرم وأخلاق الجود هي التي تمنع الناس، لا تمنعهم من الاختلاف فإن هذا من السنن الكونية الواقعة، الناس يختلفون، ولكن تمنعهم من الاقتتال.

نحن نعيش في السودان توترًا عظيمًا والعلاقات متوترة، كيف نسمع بمثل هذه الوقائع في بلادنا وفي ديارنا؟ إن هذا مرفوض مهما كانت المبررات، أضف إلى ذلك الرعب الذي سيدخل في نفوس الناس، وحقيقة بالمناسبة نحن نطالب السلطات ليس بمجرد الكشف عن الجناة فقط، إنما باتخاذ تدابير كافية، ليس يعني أنهم سيحرسون كل بيت، يا إخوان الذي يحرس البيوت بعد الله عز وجل قيم الناس، أدب الناس، أخلاق الناس هي التي تحفظ المجتمعات، لأنه لو تكلمنا ببساطة عن إقامة الحدود هذا أمر السلطان وليس لدولة داخل دولة أن تقيم الحدود، وليس الفوضى وليس هذا المسلك الرديء القبيح غير المقبول، أسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضى، وأن يتقبل منا وإياكم، وأن يحفظ ديارنا وديار المسلمين من كل سوء، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، إذا كان المخرج من الفتن يكون أولًا بتوصيفها ومعرفتها أنها فتنة لنبتعد منها، ثم صدق اللجوء والتوكل ودعاء الله عز وجل، ثم بالفقه في الدين والتزام السنة والاعتصام بها، ثم عدم التعجل والتأني عند الفتن، الأمر الآن عند سلطات مختصة، وعند أجهزة نثق فيها ونثق بها، الأجهزة العدلية والشرطية والأمنية في بلادنا بخير موجودة، خلاص انتهى الكلام، التأني وعدم التسرع في إصدار الأحكام عند الفتن.

ومن المخرج أيضًا عند الفتن لزوم جماعة المسلمين، دائمًا لما تكون في فتنة ما تسب، خليك مع عامة المسلمين سواء كانوا السواد الأعظم بإمامهم سواء كانت جماعة الحق وأهل الخير والعلماء وأهل الفضل أهل المساجد، كن معهم ولا تشذ، هذا من العواصم عند الفتن مما لا شك فيه، وكذلك من المخرج عند

الفتن أن يسعى المسلمون إلى توحيد كلمتهم كما هو واقع المسلمين في السودان، لكن يؤسفني أن أقول إن جميع محاولات كلمة المسلمين في بلادنا فشلت، في جميع مبادرات تجميع كلمة أهل القبلة في السودان، والسبب الريبة، النظر إلى المبادرة، أو أن بعض الناس يريد أن يجمع كلمة المسلمين على رأيه هو.

وبالتالي على الناس أن يتخذوا موقفًا حاسمًا، جميع الجماعات الإسلامية ينبغي أن يقفوا موقفًا موحدًا ضد العدوان وفي إصلاح البلد في القضايا الكبرى، بعض الناس لا يفرق بين معارضة النظام وبين معارضة البلد، لا يفرق بين معارضة الحكومة وبين معارضة المجتمع، إنها دعوة لأجل تجميع كلمة المسلمين، ولا سيما في دارفور.

أسأل الله تعالى أن يرد الجميع إليه ردًّا جميلًا، اللهم أمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا يا رب العالمين، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا يا رب العالمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، واحم بسلطانك وقوتك هذا الدين يا أرحم الراحمين، اللهم أعز المجاهدين في سبيلك وانصرهم في كل مكان في فلسطين الصامدة وفي العراق وفي أفغانستان وفي جميع أنحاء العالم يا رب العالمين، اللهم سدد كلمة أهل الحق والدين والعلماء والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في بلاد المسلمين يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين، يا من لا يعجزك شيء، اللهم عليك باليهود الغاصبين، اللهم زلزل الأرض تحت أقدامهم يا رب العالمين، اللهم كن للمستضعفين من إخواننا في فلسطين، اللهم كن عونًا لهم يا رب العالمين، اللهم كن عونًا لهم، اللهم إن الناس خذلوهم فلا تخذلهم، وإن الأنظمة تركتهم فلا تتركهم يا رب العالمين، اللهم عليك باليهود فإنهم لا يعجزونك، وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/الفتنة/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com